السفير تتحدث إلى دولة الرئيس العماد ميشال عون

الجزء الثاني ٢٠٠١/١٢/٢٠

في ٢٠ تشرين الاول الماضي، انتقل العماد ميشال عون، من منزله في باريس الى واشنطن، تلبية لدعوة رسمية وجهت إليه من مجلس الشيوخ الاميركي، للبحث معه في ازمة الشرق الاوسط عموما، والمسألة اللبنانية خصوصا، في ضوء تداعيات الحادي عشر من ايلول.

كانت هذه اول زيارة له الى العاصمة الاميركية، منذ انطلاقة حياته السياسية رسميا، مع اصدار الرئيس أمين الجميل مرسوم تعيين عون رئيسا للحكومة العسكرية الانتقالية، في ايلول ١٩٨٨، وهو المركز الذي بقي فيه، حتى ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠، حين تعرض لعملية عسكرية اطاحت به، وسط مباركة اميركية واضحة المعالم والتفاصيل.

أحاط عون زيارته هذه، بكثير من الكتمان، ولم يفرج، إلا في حديثه ل<<السفير>>، عن بعض مكنوناتها، ليعد بقول كل شيء، ولكن بعد زيارة ثانية بدأت التحضيرات لها منذ مدة، وشارفت على وضع اللمسات الاخيرة.

ما يريده عون من واشنطن معروف بعناوينه وتفاصيله، ولكن السؤال الابرز الذي يبقى في علم الدوائر الاميركية، يتمحور حول معرفة ماذا تريد هي منه.

فإذا كان السياسي، كما دلت التجربة على اتساع العالم الثالث، لا ينتهي إلا بتصفية جسدية، فهل يمكن الاعتقاد بأن ثمة من يحضر عون لمرحلة جديدة؟

وإذا ما اتخذت العِبر المستقاة من الاسلوب الاميركي، في الاعتبار، فهل يمكن القول ان انفتاحها على عون هو رسالة ترفعها في وجه النظام اللبناني ومن خلاله في وجه القيادة السورية، لإعطاء مزيد من الدفع للضغوط المطلبية والكلامية التي تمارس على كلا البلدين، ام انه في افضل الاحوال، قرار أميركي بتمهيد الارضية الملائمة، لأي خيارات مستقبلية قد تعتمدها؟

وإذا كان الجواب الشافي يبقى رهنا بالتطورات المقبلة على المنطقة، فإن عون، وإن كان يؤكد انه لم يذهب الى واشنطن ليبيع نفسه، الا انه يعود منها اكثر صلابة تجاه مواقفه الحادة اصلا، وأكثر تكييفا لرؤيته اللبنانية مع المفاهيم الاميركية، على كل المستويات.

يعتبر عون، في الجزء الثاني من الحديث الذي اجرته معه <<السفير>> في منزله في العاصمة الفرنسية، قبل ايام، ان هناك تغييرا في النظرة الاميركية وإعادة نظر في سياستها.

ويشير الى انه لمس تجاوبا وتفهما كبيرين، للطروحات التي قدمها. ويقول انه ينتظر حدوث اشياء في الشرق الاوسط <<وما تكلمنا به بدأ يظهر على الارض، ومن الواضح ان الاميركيين مصممون على تكملة ما صمموا عليه الى الآخر>>.

ويرى عون ان ما حدث من تداعيات، في ضوء ١١ ايلول، هو حرب عالمية ثالثة ستنتج شرعة جديدة.

يرفض مقارنة ما يحصل اليوم مع تداعيات الحرب الاميركية على العراق، <<فيومها لا اعرف لماذا لم يكمل الاميركيون تجربتهم وعمدوا الى إرجائها، ولكنهم لن يرجئوها هذه المرة، لأنهم دفعوا ثمن ذلك غاليا>>.

ويذهب الى ابعد من ذلك، بحيث يعرب عن اعتقاده بإمكان وصول حلول جذرية وراديكالية الى لبنان.

وفي موضوع المقاومة، يعتبر عون ان <<حزب الله>> اصبح حاليا في الجنوب اللبناني، رديفا للجيش اللبناني. ولا يبدو مؤمنا بقضية شبعا التي تجعل لبنان يتعامل مع الأمم المتحدة <<وكأنها مسرح تهريج>>. ويقـــول ان لبنان وضع نفسه خارج الشرعية الدولية، <<فأضحى تابعا للحزب ولم يعد الحزب تابعا له>>.

ويصل الى حد التكيّف الكلي مع الموقف الاميركي، اذ يسأل وهذا اول كلام معارض يتطرق الـــى النظـــرة لغـــد المقاومة وحاضرها هل تستطيع الدولة اللبنانية ان تضمن كل ارتباطات <<حزب الله>> بالخارج؟

ويجيب نفسه بنفسه: <<لا أحد يعرف هذه الارتباطات. فحزب الله لم يعد مقاومة، بل هنـــاك حـــرب كلاســـيكية أضحت تمارس عبره>>.

فماذا في تكملة حديث عون الذي نشرت <<السفير>> في عددها الصادر أمس الجزء الأول منه؟

عون في أميركا

بدعوة من لجنة الخارجية في الكونغرس الاميركي انتقل عون الى واشنطن، فكيف ينظر الى هذه الخطوة، وهـــل تعبِّر برأيه عن تغيير ما في السياسة الاميركية تجاهه؟

يرد عون بالايجاب ويقول: <<نعم، هناك تغيير في النظرة الاميركية. فلقد وجهت إليّ، في العام ١٩٩٧، دعـــوة مماثلة، ولكن وزارة الخارجية وقفت حائلا دون ذهابي، اذ رفضت اعطائي سمة دخول، ولكن هذه المرة، تغيرت الاحوال كليا، اذ انني حصلت على سمة الدخول، في الساعة نفسها التي قدمت فيها الطلب>>.

ويضيف عون مستنتجا: <<هكذا انتقلت الاوضاع، من حالة المنع الى حالة الزيارة، وعلى الاقل، بدا أن هنـــاك قبولا بالاستماع. ويمكنك ان تستنتج، من الشكل، ان هناك اعادة نظر بالسياسة الاميركية، من دون ان يأتي احد إليك ويقول لك إن هناك اعادة نظر، مع اننا سمعنا في مجلسي الشيوخ والنواب، انهم في مرحلة اعـــادة تقييـــم سياستهم في العالم. ولقد تحدثنا معهم عن ازمة الشرق الاوسط، عن جذورها، وعن نهاية الحرب فيها وكيـــف يجب ان تكون، كما تحدثنا عن صورة لبنان الذي ندافع عنه وقلنا لهم انه اكثر من مصلحة اميركية لأنه مصلحة إنسانية، فمن دون لبنان تكونون، كأميركيين، قد خسرتم الاعتدال في العالم، ولا يعود لديكم مجـــال لأن تجـــدوا أرضا يكون فيها التواتر طبيعيا، وبخسارته لن يكون هناك نموذج حي، ويصبح ما تفعلونه مجـــرد كـــلام، وإذا كانت هناك شخصيات عربية تفاهمتهم معها، فلأنها خريجة جامعتين في لبنان، ولكن الآن حلت مكـــان هـــاتين الجامعتين مدرسة بن لادن>>.

ولكن هل ذهب العماد عون الى هناك ليتحدث فقط، ام ليستمع ايضا؟

يجيب: <<اكيد هناك تبادل. كانت لديهم اسئلة وكانت لديّ أنا ايضا اسئلة. أنا لم اذهب الى هناك، ليكن مفـــهوما، لأبيع نفسي، بل لأن لديّ قضية أدافع عنها ويقتضي ان اوصل وجهة نظري وأن ارد على كل ما يعاكسها مـــن طروحات. لذلك، كان هناك تبادل بيننا وبينهم. لقد كان هناك قبول للكلام الذي قلناه، ونعلق آمالا على الزيـــارة بأن تؤتي نتائج ايجابية>>.

يضيف: <<لا استطيع ان اذكر كل ما قيل هناك، ولكننا عرضنا لصورة لبنان الذي نريد>>.

وماذا لمست؟

لمست تجاوباً كبيراً وتفهماً كبيراً، فلأول مرة يسمعون حتى هذا القدر.

وهل من اجتمعت بهم هناك لهم علاقة بصنع القرار ام انهم مجرد اصحاب رأي؟

يجب ان تعرف كيف يصنع القرار في اميركا، فالقرار ليس بيد السلطة التنفيذية، بل هو خاضع لمؤسسات كثيرة. هو يبدأ بالدراسات وينتهي باعتماده. وعندما يصبح في السلطة التنفيذية لا يعود قابلا للتعديل، حتى الرئيس لا يعدّل فيه. اعتقد اننا تكلمنا مع المطابخ. لن ادخل في التفاصيل في هذه المرحلة، فربما في الزيارة المقبلة افعل.

وهل هناك زيارة ثانية؟

يحتمل، نحن ننتظر حدوث اشياء في منطقتنا. ما تكلمنا به بدأ يظهر على الارض. ومن الواضح ان الجماعة مصممون على تكملة ما صمموا عليه الى الآخر.

ولكن هل يمكنك ان تراهن على التغيير، بالاتكال على الولايات المتحدة الاميركية؟

ان الحدث الحالي، هو حرب عالمية ثالثة. ودائما بعد الحرب العالمية تصبح هناك اعادة نظر، لا تنسى ان ولسون بعد الحرب العالمية الاولى تكلم عن عصبة الامم المتحدة وعن حقوق الانسان، وعن العدالة والقانون، وبعد الحرب العالمية الثانية تكلموا عن حق تقرير المصير، وسرنا بنوع من النظام العالمي الجديد عبر ميثاق الامم المتحدة، والآن هذه الحرب ستنتج شرعة جديدة، والولايات المتحدة الاميركية، كقوة بحد ذاتها، تزلزل العالم وتغيّره. وكل قوة تزلزل العالم، عن حق او عن غير حق، تنتج إعادة نظر.

ولكنك قرأت في اجتياح العراق للكويت سيناريو للحرب العالمية؟

لقد قلت، قبل ١١ شهرا على اجتياح العراق للكويت، ان الامور اذا بقيت على ما هي عليه، فستحدث حرب عربية عربية.

جنرال، لقد تحدثت بعد ٢ آب ١٩٩٠ عن تغيير في منطقة الشرق الاوسط، ولكن الاحداث اكدت ان هذا لم يحصل؟

لقد أُرجئت.

والإرجاء محتمل هذه المرة؟

لا الإرجاء لن يحصل، مرة ثانية، ولا اعرف يومها لماذا لم يكملوا. لقد دفعوا ثمن ذلك غالياً (...).

هل افهم ان ما عملت من اجله، منذ ١٢ سنة، اصبح قابلا للحياة؟

نعم، بالتأكيد. فخلال لقاءاتي مع الشباب، اقول لهم ان المتقدمين في العمر لديهم الحق بأن يلحوا عليّ، ولكن انتم لا حق لكم، لانكم ستكونون شهود التغيير، وقد اكون أنا اكثر شخص قد لا يرى التغيير. ستقول لي انك تعمل بلمحة رسولية وبطوباوية. لا، فأنا رجل واقعي يعرف ان اولادي سيحلون مكاني بالنتيجة، وأنا احضّر نفسي لهذا الموضوع. يمكن ان اقع الآن، ويجب ان اترك جيلا واعيا، وهذا ما يجعلني اهتم بالشباب الجامعي وليس بالمخضرمين السياسيين، لانني لا افتش عن دور سياسي بقدر ما ابحث عن دور وطني وإنساني، واكون بذلك قد خلقت تغييرات اساسية في المجتمع اللبناني.

لذلك، فإن غالبية من يكتب عني كسياسي <<ينرفزون>> احيانا بلا اي معنى. لان من يكتب احيانا ضدي يكون يكتب ضد نفسه، من دون ان اعرف لماذا.

فأنا لست منافسا لأحد على وزارة ولا على نيابة ولا على تجارة، أنا لست متنافسا مع احد، فالافكار التي اطرحها اطرحها للجميع.

ويتكرر السؤال: هل تعتقد ان التطورات الدولية الاخيرة ستصب لمصلحة طروحاتك؟

يجيب مبتسما: ان كل طروحاتي هي طروحات تسوية، ولكن مع هذه التطورات يمكن ان تأتي حلول اكثر راديكالية من ذلك، وتصبح طروحاتي متخلّفة، لانها ليست جذرية.

وتسأله عن سبب عدم تلبيته سابقا للرسائل الاميركية التي كانت قد وصلته، حين كان في بعبدا، فدفع ثمنا غاليا، فيجيب: <<كنت خروفا ساقوه الى المذبح. لم اقبل بالدخول تحت الوصاية وقلت لهم يمكنكم ان تسحقوني ولكن لن تأخذوا توقيعي. كثر لم يفهموا، وقالوا ان الجنرال لا يعرف ان يقرأ الرسائل. أنا لا اخسر حقي بالاستقلال بالتراضي. القوة فرضت امرا واقعا على لبنان، ولكن مقاومتي حافظت على حقي بالمطالبة بالاستقلال. لو كنت قد وقّعت لما كان هناك حالياً، لا شرعي ولا مؤقت، ولا غير ذلك>>.

ماذا كان سيتغيّر، آخرون قالوا أخطأنا.

ودخلوا الى السجن.

ولكن هناك من لم يدخل الى السجن؟

رينيه معوض قُتل. لم يكن قد تسنى له ان يقول ذلك؟ لانه تصرّف على اساس انه رئيس جمهورية.

ولكن هناك في البلد اليوم من يقول ان الطائف لم يُنفذ كما سبق ووعدنا؟

ما هذه الكذبة؟ ان من يقول ذلك اليوم هم طلاب ادوار وليسوا طلاب استقلال وسيادة. فماذا كان يمنع من يقول انه تعرض للغش، ان يقف الى جانب مطلبي للحصول على ضمانات لتنفيذ اتفاق الطائف.

كان يريد ان يخلص منك؟

خلص من نفسه. أنا اقبل ان يقتلني شخص حتى يبقى على قيد الحياة، ولكن كيف اقبل بشخص يقتلني ليموت. وهذا ما لم استطع ان افهمه حتى الآن.

كان يعتبرك كابوساً؟

ما هذا الكلام؟ قالوا لي ان <<القوات اللبنانية>> ستحاربك، فأجبتهم بأن احداً لا يقاتل حتى يصبح اسيرا، بل من اجل الهروب من الاسر وليس الاستسلام. لم أصدّق ان <<القوات اللبنانية>> سيقاومونني ويضربونني حتى يستسلموا. وقلناها يومها على التلفزيون: يا سمير جعجع اذا انتصرت استسلمت واذا خسرت استسلمت. ومرة اخرى قلناها للهراوي: انت تقاتل حتى تتنازل عن صلاحياتك الدستورية. وعاد بعد ٣ او ٤ سنوات، وقال ان رئيس الجمهورية اصبح من دون صلاحيات. ان هؤلاء الناس محدودو الأفق والامكانات العقلية. أنا لا اتهجّم عليهم انما أقيّمهم من خلال اقوالهم. هؤلاء هم الناس الذين كانوا في قبالتي، فكيف تريد ان تصلح الامور. احسبها لعبة بوكر، فإذا اتى شخص غشيم يفسد اللعبة كلها، فالجماعة هم جماعة ارتجال وهواة. ومع ذلك، ظهر لهم انني الوحيد الذي لا يعرف ان يعمل سياسة. اذا بمفهوم الضيعة أنا لا اعرف شيئا عن السياسة، واذا بمفهوم الاستراتيجية، بدهم كتير حتى يصلوا الى مستواي.

جنرال، هل لعبت بوكر؟

أنا لم ألعب بوكر ابداً. كان لديّ خياران، اما ان اقبل بالتنازل عن السيادة ام ارفض. وهذا ما رتبه عليّ عدم التنازل عن السيادة. وحتى الآن، اذا عادت الامور الى ما كانت عليه، سأعتمد الخيار نفسه. لا افعل ذلك لانني

عنيد، بل لانه بعد ١٢ سنة اظهرت التجربة انهيارا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. مليون ونصف مليون لبناني اصبحوا في الخارج. كل ذلك يؤكد انني كنت على حق.

ان المأخذ الاساسي عليك في لبنان، هو انك تأخذ نخبة من الشباب وتجعلها تدفع ثمناً يجب الا تدفعه؟

بالعكس أنا احميها من الفساد والافساد، يطلبون مني ان اقدم مشروعا سياسيا. اذا فعلت، فمع من سأناقشه، من يجب ان اناقشه معهم، لا يجرأون على زيارتي، لانهم ممنوعون (...).

نحن طالبنا بحكومة انتقالية تمثل جميع الاطراف. لماذا هذه صالحة في افغانستان.

كتبنا مرات عدة اننا نريد حكومة انتقالية تمثل كل الاطراف، وتجري انتخابات بمراقبة الامم المتحدة، وحينها تصبح هناك مشروعية للحكم. هكذا تخلق المشروعية، بفترة انتقالية بين الحرب وبين السلم.

ولكن اول حكومة، بعد ١٣ تشرين الاول ١٩٩٠، حصلت على هذا الاساس، وبغيابك انت فقط؟

ان الشعب اللبناني هو الشعب الوحيد الذي يهمّشونه ويقبل. فأنا افترض ان المجلس النيابي كان قد انتخب قبل ٨ اشهر، وصار هناك تبديل اسمه الطائف، لا يعود صالحا، بل يحتاج الى الدخول في انتخابات جديدة على اساسه او اجراء استفتاء شعبي.

أنا اول رئيس حكومة في العالم، يطيحون به، لانه يطالب بانتخابات نيابية، تحت رعاية الامم المتحدة. انها اكبر جريمة ارتكبت بحق الشعب اللبناني. لقد قلت للأخضر الابراهيمي، اننا جميعا ننحني امام ارادة الشعب اللبناني، اذا اتت الانتخابات واكدت على كل الاتفاقيات التي أنجزت. فردّ عليّ بأنه قد تأتي النتيجة مغايرة، فعلّقت: اذا انتم لا تبحثون عن حل.

هل هذا المطلب تعتقده واقعياً، اليوم؟

هذا الوحيد الواقعي (...) شو ناميبيا احسن منا، أم افغانستان احسن؟

في لبنان هناك شعور عام بأن هذه المرحلة تخطاها البلد، واصبح الحل بعودة كل القوى السياسية على البلد، وحين تصبح هناك استحقاقات دستورية، بموعدها، تصحح كل الأخطاء، فهل يجب دائما ان تكون الحلول جذرية؟

هذا ليس حلا جذريا، بل تحت المقبول لديّ. يريدون اجراء انتخابات تحت رعاية المخابرات، ولا تكون لديّ حرية عقد الاجتماعات، ولا يكون لديّ الحق بإجراء ضغط اعلامي على الحكومة للمطالبة بخروج سوريا. هذا هو القرار الظني بحقنا موجود، اذ ينص على ان المطالبة بانتهاء الاحتلال السوري غير جيد للبنان. اذا لم يكن لي حق ممارسة حقوقي البدائية هذه، فكيف اقبل بأن تجري الانتخابات برعاية هذه السلطة. ان الحد الادنى الذي يعرضونه غير مؤمّن، لذلك نحن نرفضه.

أما الحل الواقعي، فيكون بحكومة نتمثل نحن بها وهذا طرح ايجابي نقدمه وتجري انتخابات برعاية الامم المتحدة، وحينها نقبل بالشرعية التي تنتج.

فرضية جنرال، اذا تسلمت القرار، هل يمكن ان تذهب الى غير هذا الطرح؟

الحل بعد الحرب هو النظام الديموقراطي، ولا يمكن ان نساهم في نظام يمكن ان يولد لاحقا الحرمان والارهاب. ولكن انتبه، فإن مفهوم الديموقراطية والحريات يجب الا تكون فوضى، كما هي عليه الحال اليوم في لبنان، فمن يحترم القانون هو المغلوب على امره اليوم. فالمفهوم الراقي للدولة الديموقراطية، يؤمن حقوقا مصانة للمواطن

وواجبات مصانة عليه. فالحكم الديموقراطي هو ايقونة ذات وجهين، اولهما حرية وثانيهما مسؤولية، وما نـراه اليوم هو ان الوجه الاول عبودية والوجه الثاني فوضى.

هل هناك اي اتصالات بينك وبين سوريا؟

لا، بين الفترة والأخرى يأتي اليّ اشخاص ويدعون انهم وسطاء ويطرحون معي الموضوع، ولكن كـانت هـذه الاتصالات تنتهي عند الكلام عن ذهاب سوريا من لبنان. يقولون لي قل ما تشاء يا جنرال، ولكـن اتـرك هـذا الموضوع. ولكنني لا اريد شيئا غير الحرية والاستقلال.

هل هناك اي اتصالات، عبر وسطاء، بينك وبين الرئيس اميل لحود؟

كلا.

ثمة من قال ان هناك وسيطا، طلب منك، بعد ٧ آب تحييد رئيس الجمهورية، لقاء ترك الشباب الذين ادخلوا الى السجن؟

لا ليس صحيحا، وهذا من الكذب الذي يشيعونه ليقولوا ان الجنرال عون متعنّت. وعلى كل حـال، ان خـروج الشباب من السجن لا يدفعني الى <<ربح جميلة>> احد، واذا دخلوا، مرة اخرى الى السجن، يكون ذلك عمـلا تعسفيا، ليس لانهم ارتكبوا ذنبا، وهم يمارسون واجباتهم. وحتى لو اعادوا اليّ كل حقوقـي لا <<اربـح لـهم جميلة>> لانهم معتدون عليّ، وتترتب على الحكومة مسؤولية، ازاء ذلك.

المقاومة

هل يفترض، برأيك، ان يتجاوب لبنان مع الضغوطات الاميركية التي تمارس، ولا سيما على المقاومة؟

ان قصة المقاومة مفهومة خطأ. فما فعله الاسرائيليون في ٢٥ ايار ٢٠٠٠ كان مطروحاً فـي العـام ١٩٩٤، ولكن بغض النظر عن امكانية الحلول، فنحن ننحني امام من استُشهدوا، ولكن المقاومة اصبحـت حاليـا فـي الجنوب اللبناني، رديفا للجيش اللبناني، لانه ليس هناك أراض لبنانية محتلة.

اما قصة شبعا فيبيعونا اياها، يكفي فسنة ١٩٦٧ قالت الحكومة اللبنانية ان لا اراضي محتلـة لديـها. وسـنة ١٩٩١، قالت ان لا اراضي محتلة لديها، ولا تزال ضمن اتفاقية الهدنة والقرار ٤٢٥ وأتـت الحكومـة اليـوم لتخلق بدعة شبعا، وكأن الامم المتحدة مسرح تهريج، هذا تهريج لا علاقة له بالقانون الدولي. كـل السياسـة اللبنانية بُنيت على عدم صلاحية ٢٤٢ للتفاوض بين لبنان واسرائيل وبنيت على اساس تنفيذ القرار ٤٢٥، فمـا هي البدعة التي دفعته الى عدم تنفيذ القرار ٤٢٦.

اذاً، لبنان وضع نفسه خارج الشرعية الدولية، لذلك اضحى هو تابع للحزب ولم يعد الحزب تابعا له.

اكثر من ذلك، هل ان الدولة اللبنانية تستطيع ان تضمن كل ارتباطات حزب الله في الخارج. ان احدا لا يعرفـها، ان حزب الله لم يعد مقاومة، بل أضحت تمارس عبره حرباً كلاسيكية.

إن ما يحصل هو خطر للغاية، وعلى الدولة أن تتحمل مسؤولية خيار وضع نفسها في مواجهة مع كل المجتمـع الدولي.

ولكن هناك اتفاقا عاما في لبنان لحماية خيار المقاومة، ونراك خارج هذه السياسة؟

ان سياسة <<حزب الله>> فيها مواجهة، وتحمل مسؤولية، وأنا لست بمركز المسؤولية لأقول لحـزب الله مـا يجب أن يفعله. أنا كإنسان أتعاطى في السياسة حذرت قبل الانسحاب الإسرائيلي من عدم التزام اللبنانيين بعـد

الانسحاب بالمواثيق الدولية وإلا وضع نفسه خارج الشرعية الدولية. هذا موقف. وهناك خيار. لا تستطيع أن تقول لي انني ضد حزب الله، هناك موقف دولي يواجه خيار الدولة التي ستتحمل هي المسؤولية.

كيف هي العلاقة مع <<حزب الله>>؟

لا علاقة مع حزب الله، أنا لم أكن أقسّم بين المقاومتين، ولكن <<حزب الله>> يريد أن يدافع عن سوريا في وجهنا، وهنا وجهة نظرنا مختلفة، أي نحن مختلفون، عندما يعتبر الحزب ان المقاومة واحدة ضد كل الاحتلالات حينها نكون على انسجام تام معه، اما ان نوحد لبنان تحت الاحتلال السوري، لا نكون ننجز شيئا.

هنا بعض الصحافة تقول ان هذه مساواة بين إسرائيل وسوريا. هذا غير صحيح، فعلاقتنا مع الشعب السوري تختلف جذريا عن العلاقة مع إسرائيل، فنحن مع هذا الشعب توأم وعلاقتنا به ممتازة. ولكنني أساوي بين الاحتلالين لا بل أضع مسؤولية أكبر على السوري لأنه خاطف القرار الحر اللبناني.

وكيف هي علاقتك بالأطراف الرسمية اللبنانية؟

ان هؤلاء لا يملكون الجرأة لبناء علاقة إلا مع من تسمح لهم سوريا ببناء علاقة معه. فعليّ حرم سوري، منذ عام ١٩٨٨ حين تشكلت الحكومة اللبنانية يقولون لي نفعل كما نريد ونحاورك. ما هذا الكلام، ما هذا الحوار، على ماذا ستحاور أشخاصا توافقهم على ما يريدون. ان هؤلاء لا يحاورون خصوما لهم بل يجرون <<مونولوج>> ويحاورون أنفسهم، أنا لست سلبيا تجاه أحد، بل هم سلبيون. يقولون لي اعترف بالنظام مع أن النظام هو الأمر الوحيد الذي لا يعترف به أحد في العالم. ان الشخص يعترف بالدستور، خاطئا كان أم لا. نحن نحترم الدستور، فهل هم يحترمون الدستور.

ولكن جنرال ما هي مشكلتك إذا كان لبنان يحمل قضية مزارع شبعا لمساعدة سوريا لاستعادة الجولان، وسوريا هذه دعمت المقاومة لتحرير الجنوب، وهذا يشكل عقيدة لدى بعض اللبنانيين؟

لا، لا، لا. إنها تشكل عقيدة سورية في لبنان، فسوريا تستعمل لبنان من أجل غاياتها السياسية.

لا جنرال، هناك شعب مؤمن بنتاج المقاومة؟

لا أريد أن أظهر كمن لا يقدر شهادة الشهداء. ولكن ما هو الحل الذي أعطي أكثر مما قدمته إسرائيل في الوثيقة التي قدمتها إسرائيل في العام ١٩٩٤ من أجل الانسحاب من لبنان؟

يكتب للبنان أنه أول دولة حرر أرضه من دون قيد أو شرط...

إذا كان هناك شيء معنوي أنا موافق.

حرر لبنان أرضه من دون أي توقيع، هذا التوقيع الذي هو بالنسبة إليك أغلى شيء في الدنيا، بدليل معطيات ١٣ تشرين أول ١٩٩٠، وهذه المقاومة ألحقت بإسرائيل هزيمة...

لا توجد هزيمة، لماذا تقوّلون الأشياء أكثر مما تقوّل. هناك قراران دوليان هما ٤٢٥ و٤٢٦، موافق عليهما، لبنان لم يكن يفاوض عليهما بل يطالب بتنفيذهما.

ألم تُهزم إسرائيل في لبنان؟

إذا شئت أن يكون لبنان آخر دولة يوقع مع إسرائيل ليكن كذلك (...)، ولكن قل لي من تعاون مع إسرائيل؟ ان من تعاطى مع إسرائيل هو سوريا، تعاطوا معهم مباشرة بواسطة الأميركان أو بواسطة السفير الإنكليزي أو

بواسطة الملك حسين، رحمه الله، هذا غير موضوع. لقد دخلوا الى لبنان ضمن شروط محددة، من بينها أمـــن إسرائيل.

هل تستطيع أن تقول لي ان السوريين والإسرائيليين لم يكونوا متحاربين في الوقت نفسه؟

تحاربوا وبعد؟

هل كان حزب الله استطاع أن يمارس مقاومته لولا الدعم السوري...

والإيراني أيضا.

لقد بقيت الحرب مستمرة بطرق غير تقليدية، عبر حرب الأنصار وغيرها؟

على حساب من استمرت الحرب، ولمصلحة من؟ ألا تريد الأهداف اللبنانية. فهل الحرب من أجل الحرب لـــترفع المعنويات. تقول لي إنك خضت حربا لأجل عدم التوقيع. أنا لا أقول لك وقع مع إسرائيل، لأن هنـــاك قـرارات دولية. لو عرض عليّ حل محترم للبنان يحفظ سيادته واستقلاله ألم أكن قد وقعت عليه، ماذا كنت أطلـــب أنـــا سوى جدولة الانسحابات.

الأراضي المحتلة والمخيمات

ازاء هذه النظرة الى المقاومة، كيف ينظر عون إلى ما يحصل في الأراضي الفلسطينية المحتلة؟

يقول إنه من الصعب على المرء أن يتخيل عودة الأمور الى الوراء، كمـــا هـــي عليـــه حاليـــا، بعدمـــا كـــان الفلسطينيون قد وصلوا مع إيهود باراك الى تنازلات أساسية.

يضيف: <<أنا أعتقد ان المشكلة الأساسية تكمن في الخطوة الأخيرة لم نعرف لمـــاذا لـــم يجتزهـــا عرفـــات أو إسرائيل. ثمة توضيح إسرائيلي ولكن عرفات لم يتكلم. وحتى يكون هناك سلم من دون تنازلات متبادلة يجب ألا يبحث المرء عن السلم في المفاوضات، لأنه حينها يجب أن يربح حربا، ويفرض سلامه. والحرب الدائرة حاليـــا عادت ووضعت مشروعية وجود إسرائيل <<بالدق>> تجاه بعض المنظمات فيها، من هنا درجة الخطورة.

فالمقاومة الفلسطينية لم تعد معترفة بشرعية وجود إسرائيل، ولا إسرائيل في المقابل ستعترف بوجود الوطـــن الفلسطيني. وهناك عود الى بدء. نعود كما لو كنا في مرحلة ١٩٤٨ ١٩٤٩ ولسنا في مرحلة ما بعد ١٩٩١.

أما عن المستقبل فلا أعرف إذا كانت هناك جهوزية عربية لمواجهة هذا الوضع، لا أعتقد بوجود هكذا جهوزية. أكيد سيكون الوضع مأساويا، بعد التفاعلات التي تحدث الآن في العالم، مع الحرب ضد الإرهاب، خصوصـــا وان المعنيين فيها هذه المنظمات المطلوب تصفيتها كلها، من كل الدول العربية الموجودة فيها.

فإذا لم تعد المشكلة فلسطينية إسرائيلية فقط، بل أصبحت مشكلة فلسطينية عربية من جهة مع إسرائيل والعـالم، بشكل أو بآخر، الآن حماس ومنظمة الجهاد الإسلامي معنية بها أنظمة عربية.

لا أستطيع أن أقول ان الفلسطينيين أخطأوا أو أحسنوا برفض عرض السلام الأخير، لأن على كل خيار مسؤولية ولا يستطيع أن يضع المرء نفسه مكانه، ولكن الأيام هي التي تقول بصوابية الخيار أو عدمه، ولكننا نـــأمل ألا تنتهي الأمور الى مأساة فلسطينية.

وضع المخيمات في لبنان، هو عنوان دائم في حياتنا السياسية هل هو مقلق، ووضـــع اللاجئيـــن الفلســـطينيين فيها، وإمكان فرض التوطين على لبنان وعلى اللبنانيين؟

أعتقد أن المخيمات الفلسطينية مثل لعبة <<المتمرد الساحر>>، ستنقلب على من لعبها. لا، الوضع الفلسطيني في لبنان غير مقلق إلا على الأنظمة التي لعبت فيها، لأنه بالأساس يجب ألا يكون هناك وضع شاذ.

الوضع الشاذ إنسانيا؟

انه وضع شاذ إنسانيا. إنهم يعتمدون الحل الخطأ في الأساس. أصبح هناك هوية فلسطينية يجب أن ينالها هؤلاء اللاجئون، ويعيشون في وضعية طبيعية كمقيمين في لبنان، وألا يبقوا في مخيمات لاجئين للمتاجرة. إنهم يتاجرون بقضيتهم. نحن كلبنانيين نطلب من السلطة الفلسطينية ان تعطيهم هوياتهم ويصبحون مقيمين ويجب أن يتم العمل من أجل إيجاد حل دولي لمشكلتهم. لم يتكلم أحد مع عرفات، لا سوريا تكلمت مع عرفات ولا لبنان خلال المفاوضات، إلا من بعيد لبعيد. في حين انه يجب أن نتكلم كطرف.

لك علاقات جيدة مع عرفات ومجموعة من القادة الخليجيين ولكننا لا نرى أنك خضت أي حركة تجاه هؤلاء رافعا شعارا يخدم لبنان. بعد ١٣/١٠/١٩٩٠ وحتى نقول من العام ١٩٩٥، لم نجدك تقوم بمبادرات يمكن أن تظهر صورة أخرى عنك، غير التمسك بشعاراتك الدائمة وإعطاء مبرر الأمر لا يحتاج إلى مبرر، كالدلالة على اللون الأبيض والتأكيد ان هذا الأبيض أبيض..

أنا مصدوم من الأنظمة العربية كلها، وهذه الصدمة سيرتد أثرها عليهم هم. هم تركوا الأمور تتفاقم في لبنان وتصل الآن إليهم. كل عمري أقول إن لبنان هو مدخل للشرق الأوسط، وإذا احترق المدخل فسيحترق الشرق الأوسط كله. لم يقتنعوا. عندما تنازلوا عن لبنان وعن ميثاق جامعة الدول العربية وتركوا الأمور تتفاعل بهذا الشكل وتركونا فريسة (...) أنا مصدوم منهم. فماذا تريدني أن أتكلم مع هذه القيادات؟ لقد قمت بمراسلات عدة معها، ولكن ليست لديها الجرأة في مواجهة أوضاعها الداخلية. وهذا سينقلب ضد الأنظمة الحالية إذا كانت كل دولة تتأمل ان <<تخلص رأسها>> فأنا أعتقد أنها صعبة.

حماية المسيحيين: الجودة

هل تعتقد ان حماية المسيحيين في لبنان هي باستعادة الامتيازات السابقة للإصلاحات الدستورية؟

لا حصانة في الامتياز، بل ببنية الدولة وبالقوانين ان الامتياز لا يعطي حصانة لأي كان، لا للمسيحي ولا للمسلم. من يعطي الحصانة هو مجموعة حقوق يحترمها الطرفان. وتتميز هذه الحقوق، قبل اي شيء آخر، بالمسلمات الوطنية وبالاحترام وبالسيادة والاستقلال والحريات العامة. وعندما نتكلم على الحريات العامة نكون نتكلم على حق الاختلاف مع الآخر، وعن الحقوق القانونية المصانة.

ان هيكلية الدولة وتنظيمها، تحمي المواطن والدولة تكون مذهبية وطائفية عندما تتخذ قرارات ذات منفعة طائفية وذات منفعة مذهبية، ولكن عندما يكون القرار الصادر عن الدولة لمنفعة الكل، فلا تكون هناك قيمة للطرف الذي يتخذ القرار. الحصانة تكون للمسيحيين والمسلمين معا، أو لا تكون لأحد.

ولكن جنرال، هناك من يقول إن المسيحيين يجب أن يقووا ليحققوا حصصا أكبر في الإدارة والجيش، ويعطون إحصاءات تدعم أقوالهم. ويقولون ان الخطاب السائد حاليا لدى القوى الفاعلة لدى المسيحيين يسبب مزيدا من الهجرة لدرجة أصبح معها المسيحيون أقلية، وبالتالي يفترض ان يتمسكوا أكثر بالسلطة من أجل البقاء؟

كلا. قد يؤدي الى هذا الأمر التفكير البدائي المتوافر لدى البعض. ولكن ما يسبب الهجرة هو الفقر، وهو الفساد في الإدارة وعدم التمثيل الصحيح وعدم وجود أي بديل سياسي لوضع شاذ يرفضه اللبنانيون وعدم توافر الحريات العامة. ان هذه هي العوامل التي سببت وتسبب الهجرة.

وماذا يهمني أنا، إذا كان المدير العام مسلما وتصلني معه كل حقوقي وتنجز معاملاتي بشكل قانوني وسريع، أليس أفضل من أن يكون الموظف مسيحيا وفاسدا لا يوصلني إلى حقوق. دعنا نعود إلى جوهر الموضوع، ان المشكلة في لبنان ليست مشكلة توزيع حصص وكم عددي، بل هي مشكلة جودة.

العلاقة مع جنبلاط

كيف تقيِّم العلاقة مع وليد جنبلاط، فهي من الحوارات المقطوعة؟

ليست حوارا مقطوعا، بل هو حوار غير مباشر، ان الحوار يتم بين طبقات ناشطة من التيار الوطني الحر والحزب التقدمي الاشتراكي. وهذه ثابتة، وبالنتيجة فأنا لا أؤمن بالحوار الفوقي. حتى إذا اتفقت مع وليد جنبلاط ولم يصل هذا الاتفاق الى الطبقات الشعبية، فلا ينتج مفاعيله بل يبقى عرضة للتصادم. الآن يتم بناء هيكل سليم للغاية. فالناس تتقارب مع بعضها البعض، وهذه هي الغاية. لأنني سأذهب ووليد جنبلاط سيذهب، ولكن هذا التفاهم بين جيلين يلتقي على حقائق وثوابت وطنية. إن هذا ممتاز للغاية.

هل تشجع شبابك في لبنان على محاورة كل الفئات السياسية فيه؟

نعم، يجب أن يحاوروا على طول الخط، إنها توصية عامة للجميع، ولكن يجب ألا يصبح هناك شذوذ وينحرفوا عن الخط العام ويتعرضون للخداع. أنا أضع الحدود فقط. ولكن نشجعهم. نحن لا نؤمن أن لدينا أعداء في لبنان إلا فئة واحدة وهي الفئة التي لا تريد سيادة لبنان واستقلاله، وفيما تبقى لا خصومة لدينا مع أحد.

فمع اليسار نحن أكثر منه قابلية للتغير، فإذا كانوا يعتبرون أنفسهم إصلاحيين فإنهم يأتون الى يميننا. فلا اليسار يخيفنا ولا اليمين، فاليمين إذا كانت ليست لديهم ظاهرة الرفض للآخر، فلا مشكلة لدينا معه.

الكتائب. ثمة موقف ملتبس لك حول النظرة إلى الشرعية في حزب الكتائب اللبنانية، فهل أنت مع كريم بقرادوني أم مع أمين الجميل؟ موقفي غير ملتبس أبدا. إذا كانوا يقرون بالشرعية الموجودة حاليا فهناك شرعيات في أحزاب تبنى. هناك شرعية لحزب الكتائب يمثلها حاليا بقرادوني. لا يمكنك أن تجزئ الشرعيات، كما كان يفعل رحمه الله العميد ريمون إده كقوله ان (الرئيس رفيق) الحريري شرعي و(الرئيس الياس) الهراوي غير شرعي. هذه تجزئة لا أفهمها. هناك نظام متكامل، فالشرعية التي تقبلها تعطيك هذه النتائج. فهل المداخلات في حزب الكتائب كانت أكثر من المداخلات في النيابة ومن الرئاسة والوزارة. فطالما انك تقر بهذه الشرعيات الوهمية، فلا يمكنك أن تجزئها هنا. أنا أتكلم على الشرعية الحزبية ولا أتكلم عن شخص أمين الجميل الذي له وضعية خاصة به كرئيس جمهورية سابق، قد تكون له شعبية وهو ابن الرئيس بيار الجميل مؤسس حزب الكتائب، وابنه نائب. ان هذه الأمور كلها لا ننكرها، ولكننا نتكلم على شرعية حزب الكتائب فهي ليست معه. هذا يعني ان الرئيس الجميل إذا كان يريد أن يتعاطى مع الشرعية في الدولة ويعترف بها، فعليه أن يتعاطى مع قيادة بقرادوني على أساس أنها شرعية؟ نعم، فهو لا يستطيع أن يقر بكل الشرعيات وينكر شرعية القيادة الكتائبية، لأنها نتيجة الوضع الشاذ القائم بالبلد